(١٧٥)

(زكَرِيَّا بن مُحمَّد بن أحمد ابن زَكَرِيَّا الأنصاريّ القاهريّ الأزهريّ القاضي الشافعيّ)[١]

ولد سنة ٨٢٦[٢] ستٍّ وعشرين وثمانمائة فحفظ القرآن، وعمدة الأحكام، وبعض مختصر التبريزي في الفقه، ثم تحوّل إلى القاهرة في سنة (٨٤١) فقطن الأزهر، وأكمل حفظ المختصر المذكور، وحفظ المنهاج الفرعي، وألفية النحو، والشاطبيتين، وبعض المنهاج الأصلي، وبعض ألفية الحديث، ومن التسهيل إلى كاد، وأتمه من بعد. ثم جدَّ في الطلب، وأخذ عن جماعة منهم البلقيني، والقاياتي، والشرف السبكي، وابن حَجَر، والزين رضوان، وغيرهم. وقرأ في جميع الفنون، وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس، وتصدّر وأفتى، وأقرأ وصنف التصانيف منها: (فتح الوهاب شرح الآداب) و(غاية الوصول في شرح الفصول) و(شرح الروض مختصر الروضة) لابن المقري. وله حاشية على (شرح البهجة) للولي العراقي، وشرح (لشذور الذهب). وله شروح ومختصرات في كل فنٍّ من الفنون، انتفع الناس بها وتنافسوا فيها. ودرّس في أمكنة معتددة وزاد في الترقي وحسن الطلاقة والتَّلقي مع كثرة حاسديه. وارتفعت درجته عند السلطان قايتباي وكثر توسّل الناس به إليه. وكان السلطان يلهج بتوليته القضاء مع علمه بعدم قبوله له في سلطنة خشقدم. ثم ولّاه القضاء قايتباي وصمّم عليه فأذعن بعد مجيء أكابر الدولة إليه، فباشره بعفةٍ ونزاهةٍ. ثم عُزل سنة (٩٠٦) ثم عُرض عليه بعد ذلك فأعرض عنه لِكَفٍّ بصره. وانجمع في محلّه، واشتهرت مصنفاته، وكثرت تلامذته وألحق الأحفاد بالأجداد، وعمّر حتى جاوز المائة أو قاربها، و(مات) في يوم الجمعة رابع ذي الحجَّة سنة (٩٢٦)، وحزن الناس عليه كثيراً لمزيد محاسنه. ورثاه جماعة من تلامذته، فمن ذلك قول عبد اللطيف: [من الطويل]

قَضَى زَكَرِيَّا نَحْبَهُ فَتَفَجَّرتْ ... عَلَيْه عُيونُ النّيلِ يَوْمَ حِمَامِهِ[٣]

لِيَعْلَمَ أنّ الدَّهْرَ رَاحَ إِمامُهُ ... وما الدَّهْرُ يَبْقَى بعد فقدِ إمامِهِ

---

(١) ترجمته في: الكواكب السائرة: ١/ ١٩٦؛ شذرات الذهب: ٨/ ١٣٤؛ كشف الظنون: ٤٧، ٩٢، ١٠٢١، ١٥٧١، ١٨٨٠، إيضاح المكنون: ١/ ١٠١، ٢/ ١٤٤؛ معجم المؤلفين: ٤/ ١٨٢؛ الأعلام: ٣/ ٤٦.

(٢) في النور السافر: توفي سنة ٩٢٥هـ، وفي نظم العقيان: سنة ٨٢٤هـ تقريباً، وفي الكواكب السائرة: سنة ٨٢٣هـ.

(٣) الحِمامُ: الموت.

سَقَى اللَّه قبراً ضمَّه غَوْثُ صَيِّبٍ عَليْهِ مَدَى الأيامِ صُبْح غَمامِهِ[1]

(١٧٦)

(السيد زَيْدُ بن مُحمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)[2]

المُحقّق الكبير، شيخ مشايخ صنعاء في عصره في العلوم الآلية بأسرها. أخذها عنه جماعة من أكابرهم كالسيد هَاشِم بن يَحْيى الشامي، والسيد مُحمَّد الأمير، والسيد أحمد بن عبد الرَّحمن الشامي وغيرهم. ولد في سنة ١٠٧٥ خمسٍ وسبعين وألف، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء كالقاضي العلَّامة عليّ بن يَحْيَى البرطي، والقاضي العلَّامة الحُسين بن مُحمَّد المغربي، والسيد العلَّامة الحَسَن بن الحُسَين بن القاسِم. وكان صدراً مبجلاً معظماً مفخماً، له صورة كبيرة وصولة شهيرة، يهابه ولاة صنعاء، ويخافون من أن يُنهي أمرهم إلى الإمام المهدي مُحمَّد بن أحمد صاحب المواهب. وكان كثير الإجلال له إلى غاية، ويطلبه إلى حضرته مرَّاتٍ، ويعطيه العطاء الواسع. وكان يُؤهَّل للإمامة ويُرجى لها. وقد برع في جميع المعارف لا سيما علم المعاني والبيان فإنّه فنُّه الذي لا يدانيه فيه مدان، ولا يختلف في تفرّده بهذا الشأن اثنان. وشرحه المجاز لمختصر الشيخ لُطف اللَّه الغياث الذي سماه (الإيجاز) في المعاني والبيان يشهد بفضله في هذا العلم، فإنه شَرْحٌ يشرحُ صدر طالب فن المعاني والبيان، لأن الشيخ لُطْف اللَّه ألّف هذا المختصر معتصراً له من تلخيص المفتاح، لكنه ترك من عباراته ما وقعت فيه مناقشة لأحد من الشراح أو أهل الحواشي، وزاد ما لا بد من زيادته. ثم أتى صاحب الترجمة فاعتصر المطول وحواشيه، والمختصر وحواشيه في شرحه، وترك ما فيهما من المباحث التي وقع الاعتراض عليها من أهل الحواشي، ورسم ما هو الصواب، وأنا أظن أن الشيخ لُطْف اللَّه إنما جمع هذا المتن مع قراءة الطلبة عليه للتلخيص وشروحه وحواشيه. وكذلك صاحب الترجمة إنما جمع الشرح مع قراءته كذلك. وكان كثير الأخذ من حاشية الشيخ لطف اللَّه على شرح التلخيص. وقد قُوبل هذا الشرح بالقبول من أعيان العلماء ونقادهم، وإن لم يشتهر بين الطلبة. وما أحقّ من رام حفظ التلخيص أن يستغني عنه بحفظ مختصر الشيخ لُطْف اللَّه. ومن رام القراءة في «المطول» و«المختصر» وحواشيهما أن يقتصر على القراءة في شرح صاحب الترجمة فإنه يستغني بذلك عن مهمات ما في غيره. وإن كان

---

(١) الصَّيِّبُ: السحاب ذو الصَّوْب، أي المطر؛ قال تعالى: ﴿**أو كَصَيِّبٍ من السَّماء فيه ظُلماتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ**﴾ [البقرة: ١٩].

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٣٧٧؛ إيضاح المكنون: ١/ ٢٩٢، ٢/ ٢٢٦؛ معجم المؤلفين: ٤/ ١٩١؛ نبلاء اليمن: ١/ ٦٨٩؛ الأعلام: ٣/ ٦١.